

# الإمام النورسي ووحدة الأمة الإسلامية

## " قراءة تاريخية "

د/ ليث سعود جاسم

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك - الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

د/ إيمان محمد عباس

أستاذ اللغة العربية والحضارة الإسلامية المساعد - الجامعة الوطنية الماليزية

### الملخص :

يتناول هذا البحث قضية مهمة في أيامنا هذه تحتاج إلى وعي بالأفكار، والمتغيرات التي لا تحيد بنا عن الثوابت في سبيل إيصال رسالة الإسلام إلى الآخرين وهذا يتطلب منا الانضباط بمصدريننا الشرعية [الكتاب والسنة] ، نقف عند ثوابتها ولا يمنعنا أن نأخذ عن غيرها ما فيه فائدة لدينا في وسائل وعلوم ، لتحسين واقعنا وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح يكون نابعاً من بيئتنا ومرجعيتنا الشرعية ، وتكون أمنيته قوة لها دورها في الأحداث لأن تحدث لها الأحداث ، فلا زالت أمتنا معطاءة وغنية بالرجال وإنما تفرق الكلمة ، وضيق الصدور بين الأطراف الداعية للإصلاح إن كانت دولا أو جماعات من أبرز أسباب ضعفنا ، فلعلنا بفقته الواقع وبتجرد النفوس نسمو معا ، وهذا يحتاج إلى صدق و عمل دقيق متواصل ، ولعل البحث قد أكد في مجمله على عدد من النقاط المهمة :

1. إن للأستاذ النورسي منهجية واقعية عاناها في عملية الدعوة إلى حفظ الأصالة ومواكبة المستجدات التي تحقق مصالح الأمة ورسم لنا منهجاً للتوحد بقواعده وضوابطه على حسب الأحداث التي عاصرها وعاناها.
2. أهمية احتفاظ الأمة بشخصيتها النابعة من مرجعية لها ثوابتها والتي تقف عندها لا تتعدها ، وأن تسجيب للمتغيرات و تستعين بها بشكل لا يتعارض مع الثوابت الفكرية والعقدية
3. أهمية الحوار في عملية توحيد الأمة في مواقفها مع الالتزام بقواعد وآداب توصلنا إلى الأهداف وتبعدنا عن التناحر والتنافر أفرادا كنا أو جماعات أو مؤسسات أو دولا.

مقدمة:

يتناول هذا البحث قضية مركزية بالنسبة للأمة الإسلامية من خلال رؤية الإمام بديع الزمان النورسي ، قضية تمثل خطأ رئيساً في بناء الفكر الإسلامي بل هي مطلب شرعي قبل هذا وذلك ، قال تعالى : ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾<sup>1</sup> .

إنه مطلب الوحدة ، الذي كان وما يزال يشغل الأمة المسلمة وعلماءها ورجالها في كل زمان ومكان ، فالكثيرون رفعوا راية الدعوة إلى وحدة الأمة بعد كل انكسار أو تفريط بهذا الثابت في الإسلام ، وما أحوجنا إلى إعادة النظر في الخلل الذي أصاب وحدة أمتنا أفراداً أو مجموعات صغيرة ، أو حركات شعبية أو قوى وطنية امتداداً إلى مستوى الدول والحكومات التي يطالبها الشارع العربي والإسلامي بالتنسيق في القضايا المصرية على الأقل والعمل معاً في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية تحقيقاً للكثير من آمال وطموحات الشعوب العربية والإسلامية ، قد يقول قائل إن وحدة الشعوب التي فرقها الحدود الجغرافية والسياسية للدول القومية الحديثة أمر شبه مستحيل ، لكن ذلك لا يثني عزائم الداعين إلى الوحدة عن القول بأن عدم التوحد لا يعني استحالة التعاون والتكامل في الكثير من جوانب الحياة المعاصرة ، التي صارت فيها الدول تفضل الاتجاه إلى التكتلات الاقتصادية و التجمعات الأمنية الإقليمية ، وصفقات الاندماج بين الشركات لتشكيل شركات اقتصادية عملاقة الواحدة منها تساوي دولاً من دول العالم الفقيرة أو النامية من حيث ثقل رؤوس أموالها.

من هذا المنطلق انبثقت فكرة البحث ، وذلك بتسليط الضوء التاريخي على قضية الوحدة وهمها في فكر الإمام المعروف النورسي ، وجاء اختيار النورسي لعدة أسباب أهمها :

- لأنه عاصر فترات عدة وشهد تحولات ومتغيرات خلال عمره الطويل الذي عاشه (1294هـ = 1877م / 1380هـ = 1960م) شهد العالمان العربي والإسلامي خلالها تقلبات كبيرة في كياناته السياسية التي انقسمت إلى دويلات حتى آلت إلى ما صارت إليه اليوم ، فقد شهد النورسي أواخر دولة الخلافة ، ثم مجيء الاتحاديين في ظل السلاطين الضعفاء ، ثم إلغاء الخلافة ، فالعصر الجمهوري ، ثم التحولات في عهد عدنان مندريس.
- ثم إن رحلة حياته المباركة التي دامت 83 عاماً قدمت لنا نموذجاً معاصراً في طلب العلم والتعليم والإصلاح ، والصبر الجهاد السلمي حتى لقي ربه رحمه الله.
- كما اخترنا النورسي لكونه انطلق من قلب الدولة التي كانت رمزا دينيا وسياسيا وثقافيا لوحدة المسلمين ، في فترة ظهور ثم سيادة الفكر القومي إنكاراً لضرورة الوحدة بين المسلمين وتقديماً للقومية على رابطة الدين على اتساع ظلها جغرافياً وبشرياً.

- ولأن النورسي سلك في مساره طرائق متعددة وأنماط مختلفة في العمل تتناسب وكل حال مع استصحاب الأصل وهو الالتزام بالشخصية الإسلامية ومرجعيتها والحفاظ على ثوابتها ومجارة المستجدات والتعامل معها من خلال تلك المرجعية.
- ولهذا جاء البحث محاولة لرصد رؤية الإمام النورسي في الحفاظ على وحدة الأمة التي تفتت بعوامل داخلية وخارجية ، وإبراز القواعد والضوابط والمفاتيح التي تعامل بها ، وذلك من خلال محورين أساسيين :
- **المحور الأول :** يتحدث عن الخلفيات التاريخية وتداعياتها وأثرها في تفتت الدولة الواحدة إلى دويلات ، و من العقيدة الواحدة ، إلى أيديولوجيات متصارعة.
- **المحور الثاني :** يتحدث عن الرؤية النورسية للأحداث وكيفية التعامل معها من خلال نماذج متنوعة في تطبيق تلك الرؤية.

## المحور الأول

### الأحداث التاريخية وتداعياتها وأثرها على وحدة الأمة

عاش الأستاذ سعيد النورسي مراحل التغيير في المجتمع العثماني ، فقد رأى بأم عينيه تفكك هذه الدولة وتغيير القيادة الفكرية والسياسية ، عاش مرحلة الإعجاب بالأفكار الواردة والصراع الفكري الخفي والجلي حتى بدأت المخططات الغربية تحاك لاقتسام تركة الرجل المريض ولكن قيّض الله لهذا الرجل المريض من يحاول أن يعتني به لكيلا يقع تحت سكاكين المقتسمين لتركته ذلك هو السلطان عبد الحميد الثاني<sup>2</sup> والذي تولى السلطنة قبل سنة من ولادة الأستاذ بديع الزمان الذي ولد سنة (1877هـ - 1294م)<sup>3</sup>.

ابتداء فشلت جميع الخطط التي حاولت دول بواسطتها إسقاط الدولة العثمانية والتي بدأها التحالف الأوربي الروسي بإعلان الحرب المقدسة عليها ، وقد شهد بذلك أحد الوزراء الرومان (Djuvara) كتاباً بعنوان: <sup>4</sup> (Cent Projects de Barage de la Turquie) أي لمائة مشروع في تقسيم تركيا.. وكان المخطط المختار والذي نجح هو تفكيك الدولة العثمانية من خلال إيقاع الفتنة بين قومياتها الرئيسة وفوز فكرة التحرر من الاستبداد وإنشاء كيان سياسي منفصل لكل قومية وبخاصة القوميات الرئيسية: التركية ، العربية ، والكردية ، والألبانية.

### آليات التفكيك:

إحياء التنادي بالقومية في دولة قامت على الإسلام الذي وحد قومياتها لقرون طويلة كان أمراً صعباً ولهذا فإن هذا المخطط الخطير يحتاج من ينفذه وبأيدي أبناء كل قومية ضمن مشروع جديد معاكس يقوم

على فكرة ومنفذ ووسائل للتنفيذ..؟

1- **المضمون الفكري:** الفكرة التي تهدد وحدة الأمة الإسلامية هي القومية لا لأنها محبة القوم والاعتزاز بالنسب فليس ذلك هو الهدف ، ولو كان عند ذلك الحد لأمكن الاستفادة منها إيجابياً كما شهد بذلك تاريخ الفتوحات الإسلامية ، ولكن القومية الحديثة هنا أيديولوجية جديدة وتعني اصطلاحاً: "الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها وتقوم على عنصرين:

1. **عنصر موضوعي:** ويتمثل بالروابط المشتركة التي تجمع بين أفراد هذه الأمة كالاشتراك في العرق أو اللغة أو التاريخ ،

2. **وعنصر معنوي أو شعوري:** يتمثل في الحالة النفسية والفكرية التي يولدها الشعور بالانتماء والتعلق بالرباط الذي يوحدهم.<sup>5</sup>

وعرّفها آخر بقوله: <sup>6</sup> "النظرية التي مؤداها أن كل دولة لا بد وأن تقوم بالارتكاز على أمة وأن كل أمة لا بد أن تتشكل في دولة".

ولذلك نرى أن الغرب قد اتخذ هذا السبيل في محاولة بث الشعور بالانفصال عن الدولة العثمانية وإيجاد كيان سياسي خاص لها ، ولكن على حساب الأمة الواحدة القائمة على الرسالة الواحدة والولاء لقيادة واحدة.

وللوصول إلى ذلك روجت الجهات الغربية بين الأتراك وعن طريق الماسونية ومحافلها الاعتقاد الذي ساد بأن الإسلام يتناقض مع فكرة الجنس وأنه هو الذي حال دون نشوء حضارة الأتراك <sup>7</sup> ، وبالتالي فإن الحركة الطورانية هي المنقذ للأتراك من الضياع وأن يسيروا على هدى جينكيز خان وتيمورلنك من أجدادهم العظام.<sup>8</sup> ، وأنه يلزم الشعوب الطورانية أن تعود لأصلها العرقي ولأجداد قوميتها التركية ، وكان شعارهم ترك الدين وإهمال فكرة الجامعة الإسلامية.<sup>9</sup>

وروجت الجامعة الأمريكية في الشام لمفهوم القومية العربية على أنها "الحركة السياسية التي تدعو إلى تمجيد العرب وإقامة دولة لهم على أساس رابطة الدم و القربى واللغة والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين" وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوربا.<sup>10</sup>

ومن المفارقات أن نصارى الشام هم أول من روج لدولة عربية قومية انطلاقاً من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الأئمة من قريش"<sup>11</sup> بل أصدرت أول صحيفة من قبل نصارى الشام باسم (الخلافة) وكان السبق في ذلك لرموز الشام النصارى المعروفين أمثال نجيب غازوري (ت1916م) الذي دعا لإحلال رابطة الجنس والوطنية بدل رابطة الدين وأسس المحفل الماسوني بمصر ليتولى الدعوة إلى ذلك من خلاله.<sup>12</sup> وإضافة إلى ذلك قد أسس غازوري جمعية (جامعة الوطن العربي) ، ومن الرموز المؤثرين أيضاً إبراهيم

اليازجي وناصيف اليازجي الذين دعوا إلى أن تكون مبادئ الثورة الفرنسية مضموناً فكرياً للحركة القومية.<sup>13</sup>

وأما الأكراد فقد كان له دور سياسي وعسكري وحضاري بارز في عموم التاريخ الإسلامي وفي ظل الدولة العثمانية خاصة ، فقد كانت لهم خصوصيتهم في عصر السلطان عبد الحميد ، ولم يشعروا بأن الدولة العثمانية دولة معادية لهم يوماً ما ، وبذلك كانت الكتاب الحميدية دليلاً على هذا الولاء لدولة الخلافة والتي كان لها دور هام لحماية حدود الدولة العثمانية من هجمات الأرمن الذين تحركهم روسيا للاعتداء على الدولة العثمانية ، وما تم من ثورات وتمردات إنما كانت بعد خلع السلطان عبد الحميد (1909م) وضد دولة الاتحاد والترقي التي تولاهها القوميون ، ولم تكن ضد استنبول كخلافة إسلامية ، حيث قامت ثوراتهم عندما لم يعد للخلفاء بعد عبد الحميد إلا رموزاً تستغل كاسم في مخاطبة الأمة الإسلامية لطلب الإسناد والتعاون.<sup>14</sup>

وقد بدأ النشاط القومي بين الأكراد بعد حصول الانقسام وسط دعاة الثورة ضد دولة الخلافة باسم التحرر والتقدم ولم تكن هذه الخلافات بين القوميات بعد إسقاطها للسلطان عبد الحميد إلا زيادة في التقسيم والتشطي وتعميق الانقسام القومي وخاصة بعد سياسة التتريك التي مارسها الاتحاديون الطورانيون في تركيا<sup>15</sup> ، واستغل الأمريكيون ذلك وأرسلوا دعاة التبشير الذين أنشأوا 450 مدرسة في كردستان تركيا ، لتربية جيل من الكرد على الأفكار الغربية.<sup>16</sup>

وأسهم في الترويج والتعميق بعض الرموز الكردية القومية الذين كانوا منتمين إلى الاتحاد والترقي أمثال مقداد بدرخان الذي أصدر جريدة (كردستان) في القاهرة سنة (1898م) والتي كانت تطبع في دار الهلال التي يديرها جرجي زيدان وكان الانجليز يدعمون المجلة ، ومن المفارقات أن الأرمن أعداء الأمم هم الذين كانوا يوزعون المجلة بين أكراد العراق وتركيا وإيران!!<sup>17</sup>.

## 2- بداية النهاية:

اتفقت القوميات على شعارات التحرر من الاستبداد ونشر الحرية والمساواة والديمقراطية لتكون مبرراً لإسقاط الدولة العثمانية القوة العظمى للمسلمين في ذلك الوقت ورمز الخلافة الإسلامية باسم التحرر القومي.

ولكن سرعان ما دبّ الخلاف بين قيادات هذه القوميات التركية والعربية والكردية وطفقت القومية الكبرى التركية التي استبدت بالسلطة بعد خلع عبد الحميد ، ومن ثم التحول للجمهور ثم إلغاء الخلافة والركون إلى العلمانية ، وإذا بالقوميات الأخرى تجد نفسها أمام سراب الفكر التحرري لتبدأ مرحلة الاضطهاد القومي في ظل ما أسموه بعصر التنوير والنهضة والتي كانت نكسةً وتراجعاً.<sup>18</sup>

وفي هذا الخضم من التغيرات والانكسارات والمضامين الفكرية الأيديولوجية التي نجحت في تفتيت الأمة الإسلامية إلى فئات الفئات القومية والتي بنيت على أساسها الدويلات الحديثة في ظل الهيمنة الأوربية عاش الإمام النورسي بديع الزمان الذي وجد من واجبه إصلاح ما أفسد أهل زمانه.

### 3- المنفذ للمشروع:

اشتركت قوى متعددة في تنفيذ المشروع الذي أتى على الدولة الإسلامية العثمانية التي كانت رمزاً للإسلام بشموليته سياسة واجتماعاً واقتصاداً والقوة الحضارية من أواخر القرون الوسطى وإلى العصر الحديث حسب التقسيم الغربي للمراحل التاريخية وهي:

أولاً: المحافل الماسونية: كمحفل الشرق الأعظم الإنجليزي، ومحفل الشرق الأعظم الفرنسي، ومحفل الشرق الأعظم الإيطالي.

ثانياً: البعثات التبشيرية.

ثالثاً: المدارس التنصيرية و البعثات الطلابية إلى أوروبا.

رابعاً: الجمعيات السياسية والاجتماعية.

**أولاً: المحافل الماسونية:** وقد كان لهذه المنظمة اليهودية دور أساسي في عملية التغيير الفكري السياسي والاجتماعي في الدولة العثمانية، فالمحفل الإيطالي له دور كبير في تجنيد الطلبة وتثقيفهم ثقافة غربية لا دينية وخاصة في مصر والشام، وكذلك المحفل الفرنسي كان له دور في تربية الأتراك ماسونياً ووضع خطة لإزاحة السلطان عبد الحميد، ويمكن القول بكل تأكيد أن الثورة التركية كلها تقريباً من عمل مؤامرات يهودية ماسونية، ليس هذا من باب الغرق في التفسيرات التأميرية لكن الحقائق التي تكشفت عبر كتب ووثائق وشهادات لا يسع المجال لجردها تثبت ذلك، فالعقول الحقيقية لحركة تركيا الفتاة كانت عقولاً يهودية أو يهودية مسلمة ظاهراً، و الثورة التي أنجزوها كان تدير في مدينة سلانيك.<sup>19</sup>

**ثانياً: البعثات التبشيرية:** تغلغت البعثات التبشيرية تحت مظلة التسامح الإسلامي مع أهل الكتاب الذين أعطى لهم الإسلام حرية التدين والتنقل والتملك حتى إن السلطان العثماني سليم عندما أراد إخراج اليهود قال له علي أفندي شيخ الإسلام في زمانه ليس لك ذلك فإنهم مواطنون كما ذكر ذلك توماس أرنولد في كتابه (تاريخ الدعوة إلى الإسلام).

وكذلك قانون التنظيمات الذي وافق عليه سليمان القانوني و صار ذريعة للدول الغربية في لتوسيع دور الأقليات تحت شعار حماية حقوق غير المسلمين كاليهود والنصارى وإدارة شؤونهم الداخلية، وهذا أعطى النصارى في الشام المجال للتحرك الواسع من خلال الصحافة والجمعيات المختلفة التي أنشأتها

والمدارس التي أسستها ، وعلى سبيل المثال و في كردستان وحدها انتشر أكثر من 43 باحث ومبشر لدراسة كردستان وغيرها من البعثات التي تنقلت في الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه.<sup>20</sup>

**ثالثاً: المدارس التنصيرية<sup>21</sup> :** وانتشرت المدارس لتربية جيل جديد يدعو لإحلال رابطة القومية والوطنية بدل رابطة الإسلام ومن أهم هذه المدارس :

1. المدرسة الأمريكية ببيروت والجامعة بعد ذلك.
2. مدارس الغرير والدومتيكان في مصر.
3. مدارس روبرت كوجر سنة 1863م.
4. المدرسة الأمريكية في استانبول ، وهي التي كانت قبلها محضناً لرجال الفكر القومي وقادته.

**رابعاً : الجمعيات السياسية والاجتماعية:** وقد كان للجمعيات الدور الأهم والفاعل في المتغيرات ، تفعيلاً لدور الخريجين من تلك المدارس ، ومن المعروف أن العمل الجماعي المنظم له الفعالية في إنجاز أي تغيير في أي جانب من جوانب الحياة ، وقد حشدت الدول الأوربية واليهود وسائل متعددة من خلال هذه الجمعيات لأحداث التغيير الفكري في بيئة الشعوب الإسلامية العثمانية من أجل تفتيت الدولة والمجتمع.

تم تشكيل الجمعيات في أماكن متعددة داخل الدولة العثمانية وخارجها وشمل تشكيل الجمعيات قطاع المدني والعسكري وكان الطلبة هم طليعة هذه الجمعيات<sup>22</sup> ، وقد تعامل السلطان عبد الحميد مع هؤلاء الطلبة بتسامح ورحمة حتى أن رامزور النصراني يتعجب في تلك المعاملة فيقول: <sup>23</sup> "وأما كاظم باشا... فقد انكشفت محاولته خلخع السلطان عبد الحميد... بل عينه مديراً لمشروع قطار الحجاز".

ومن الجمعيات في الشام: جمعية بيروت السرية (1875م) ومن أهم أعضائها: فارس نمر، والجمعية العلمية السورية (1868م) ومن أهم أعضائها: ميخائيل نعيمة ، وجبران خليل جبران، وبطرس البستاني (1835) وهم خريجو المدرسة البروتستانية وأعضاء في المحفل الماسوني في الشام. وفي مصر أسست جمعية اللامركزية الإدارية العثمانية (1912م) ، وجمعية العربية الفتاة في باريس (1911م).<sup>24</sup>

#### **4- وأما آليات التنفيد ووسائلها فأبرزها :**

1. **الصحافة :** الدور الأبرز في التأثير على الرأي العام الداخلي والخارجي ، كان للصحف الأوربية دور في وضع بصماتها في محاربة الدولة العثمانية ووصفها (بالرجل المريض) أو (المسألة الشرقية). أو تشويه الدولة في صورة السلطان عبد الحميد الثاني فتصفه (بالسلطان الأحمر) أو (المستبد) والمتخلف إلى غير ذلك من الأسماء والأفكار والتصورات التي رسخت إثر تكرارها وحبكها لسنوات طويلة في عقول الناس ، إلى جانب إثارة بعض القضايا باسم حقوق الإنسان مثل القضية الأرمنية التي كانت قميص الغرب في التدخل في أمور الدولة العثمانية وجعلها قضية دولية.<sup>25</sup> ومن أوائل الصحف التي أصدرها في باريس = التي كان

تصدر كل الصحف والمجلات التي تهاجم الدولة العثمانية - (الميزان) و(مشورة) التي أصدرتها تركيا الفتاة وكانت الدول الغربية تهرب هذه الصحف وتوزعها في داخل تركيا.

2. **نشر الكتب:** نشر الكتب من أخطر الوسائل التي كانت وما تزال تستخدم في تأسيس الأفكار وترويجها بين الراي العام ، والنخبة من المجتمع على وجه الخصوص ، فقد رافق مخطط التغيير لهدم الدولة العثمانية إصدار كتب من قبل المستشرقين من رعايا الدولة العثمانية ، كان هدفهم النفخ في الروح العرقية والقومية البغيضة والعودة إلى نظرية الأجناس والتفوق بينها ، فربط أفكار تلك الكتب الأتراك بالتاريخ والإشارة بزعمائهم مثل جنكيز خان ، وهولاكو وتيمورلنك وغيرهم.

ومن هؤلاء الكتاب أحمد أغايف القتاري (1312هـ = 1789هـ) الذي ركز على ربط الشعوب التتارية بعرقها الطوراني ، وكذلك اليهودي الهنكاري (قمري) Kamri الذي دعا إلى وحدة الأتراك بالانتماء إلى العرق والقوم بعيداً عن الدين بمفهومه الإسلامي<sup>26</sup> الذي أضعفه الإسلام حسب زعمه .

وجورج انطونوس في كتابه يقظة العرب ، انتشرت مثل هذه الكتب بين القوميين العرب والكردي ، كل منها تدعو إلى جذرها القومي وتؤكد على أفضليته ،<sup>27</sup> بل كانت تلك الكتب تتجاوز هدف زرع بذور الفكر القومي لتتجه نحو دفع قرائها إلى البعد عن الدين في حياتهم الشخصية أيضاً وليس في موقفهم السياسي فحسب تجاه دولة الخلافة كرمز لنظام سياسي إسلامي في ذلك السياق الزمني على ما احتوت من جوانب نقص وضعف ، فبعض كتب مسيحيي الشام بدأت من فكرة الاعتزاز بالوحدة القومية وانتهت إلى الدعوة إلى البعد عن الأديان بقول أحدهم: "دعونا نقدم حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الآخرة".<sup>28</sup>

هذه الوسائل لم تكن تسعى للهيمنة مباشرة بل كانت تعد مفاتيح بناء الفكر والثقافة ونشره بين الشعوب التي تتأثر بالمسموع والمكتوب من الأفكار فضلاً عن الانقياد لشخصيات انتصبت رموزاً لهذا النوع من الفكر وبخاصة إذا ملكت القوة والمال ووسائل الترويج للأفكار.

هذه التداعيات في الذاكرة التاريخية التي مرت بها الدولة العثمانية ضرورية لفهم دور الأستاذ بديع الزمان النورسي في الدعوة إلى وحدة الأمة في نطاقها الإسلامي أو المحلي والعالمي.

## المحور الثاني

### **دور الإمام النورسي في وحدة الأمة**

واجه الإمام النورسي واقعاً اختلطت فيه الأوراق وهجمة شرسة تقودها أطراف عديدة باسم القومية والتقدم وهي في الحقيقة تسعى لتمزيق دولة ولاسقاط نظام ، تحريكا للشارع وراء أو هام وسراب الحرية والأخوة والمساواة ، لقد التبس على الشعوب الأمر في التمييز بين حقيقة المبادئ وأصالتها ومصدريتها وبين



الانهيار أمام بوادر لنهضة تقنية علمية وغط أنظمة الحكم السائدة في أوروبا ودساتيرها وبرلماناتها التي سحرت أعين الناس بفلسفتها ولبست عليهم الفكر.

وقد روجت أوروبا - عبر مشاريع وخطط منظمة كما ذكرنا- الأفكار بين جماهير الأمة الإسلامية التي تدعو إلى التغيير والاقتداء بأوروبا في ذلك ، و التي أصبحت المعيار في قياس التقدم والتأخر والعلم والجهل والتحرر والاستبداد ، وانبرى لذلك كتاب وشعراء وسياسيون صنعوا صناعة ، وتم إعدادهم من أجل أن يلبسون الحق بالباطل ويشيعون أن سبب التأخر هو الدين الذي تتبعه الشعوب ، وعلى هذا "علينا أن نتبع أوروبا في كل صغيرة أو كبيرة" ، حتى قال أحدهم : "لو أكلت أوروبا نجاستها لأكلنا نجاستها أيضا".

في هذا الجو الفكري السياسي الاجتماعي المتصارع ولد وترعرع الإمام النورسي ، رموز وجمعيات وجماعات وصحف ومجلات تدعو إلى الإصلاح والإصلاح منها برئ ، تحت شعارات سلوك سبيل العلم والتقدم في هذه الجوانب المهمة.

### وضوح الرؤية وتشخيص الداء:

لقد أدرك الأستاذ بديع الزمان حقيقة الهدف من وراء نشر الفكر القومي بين شعوب الدولة الإسلامية العثمانية فيقول: "لقد انتشر الفكر القومي وترسخ في هذا العصر، ويشير ظالموا أوروبا الماكرون بخاصة هذا الفكر بشكله السلبي في أوساط المسلمين ليمزقوهم ويسهل لهم ابتلاعهم ولما كان الفكر القومي ذوق للنفس ولذة تغفل، وقوة مشؤومة.. نعم وأطماع أوروبا لا تفتقر ولا تشبع هي كالثعابين الضخمة الفاتحة أفواهاها للابتلاع"<sup>29</sup>

وكذلك لمس الآثار التي أوجدها التعصب القومي حيث تنادى في الدولة العثمانية بعد عزل السلطان عبد الحميد مخذراً للمسلمين و مذكراً لهم بما حصل في أوروبا لما دعا بعض الأوروبيين إلى العنصرية وأوغلوا فيها في هذا العصر مما أثار العداء التاريخي الملبئ بالحوادث المريعة بين الفرنسيين والألمان وغيرهم من قوميات أوروبا"<sup>30</sup> ، التي وعت شعوبها بخنجر مثل هذه الدعوات وصارت اليوم تتجه إلى التوحد الذي سار عبر مراحل إلى تبلور في منظومة الاتحاد الأوروبي . وعى النورسي لهذا الخطر مبكراً فأشار بقوله "وكذلك الحال فينا: ففي بداية عهد الحرية (أي إعلان الدستور) تشكلت جمعيات مختلفة... تحت أسماء أندية كثيرة سببت تفرقة القلوب.. "أما الآن فإن التباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله، بسبب من الفكر القومي هلاك عظيم وخطب جسيم" كما استغللت إثارة النعرة القومية مجدداً للتفريق بين الأخوة العرب النجباء، وبين الأتراك المجاهدين فهم الاضطراب وسلبت كرامة الناس"<sup>31</sup>.

### مجاور محاولات الإصلاح والدعوة للتوحد:

كان الأستاذ النورسي دؤوباً في نشر العلم في منطقتة الشرقية منتقلاً بين مدنها ، كان يشعر بأن المنطقة الشرقية تحتاج إلى اهتمام أكثر وبحاجة في الجوانب التعليمية التي هي أساس حل مشكلات المجتمع بصورة

عامة ، ومنطقة شرق بصرة خاصة والتي كانت تتسم بالقبلية وتكثر فيها النزاعات وإراقة الدماء وكانت الإدارة فيها ضعيفة في حلّ تلك المشاكل ، لذا فكان يسهم هو في حل بعضها بما له من المكانة في قلوب الناس.<sup>32</sup>

**1 - الإصلاح التعليمي:** غلب على ظن النورسي بأن التغيير الاجتماعي لا يتأتى إلا بالتغيير العلمي وإيجاد جيل مثقف يسهم في حل مشكلات الأمة ، فكان يرى بأن مناهج المدارس الدينية وطرق التدريس تحتاج إلى تغيير وتطوير ، وأول طرق الإصلاح إصلاح نظام التعليم والذي شجعه على أن ينمي الفكرة إلى بناء جامعة تدرس العلوم الدينية والعلوم الحديثة لإيجاد جيل يفهم المخططات الغربية التي تحاول باسم العلم الحديث أن تشكك الطلاب بالإسلام<sup>33</sup> ، كان لديه يقين "بأن المستقبل سيكون للإسلام وللإسلام وحده ، وإن الحكم لن يكون إلا لحقائق القرآن والإيمان"<sup>34</sup> وعلى هذا "فإن المستقبل الذي لا حكم فيه إلا للعقل والعلم سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه إلى العقل والمنطق والبرهان"<sup>35</sup>.

وعزز هذا الحماس لتحقيق مشروع الجامعة التي اقترح لها اسم الزهراء تيمناً بالجامع الأزهر بمصر ما قرأه في الصحف من أن غلادستور وزير المستعمرات قد صرح أمام مجلس النواب البريطاني بقوله وهو يحمل المصحف: "إننا لا نستطيع أن نحكم المسلمين ما دام هذا الكتاب في أيديهم فلا مناص من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلته المسلمين به" ، فكان رده : "وقد قررت أن إجابة هذه المؤامرة الخطرة مستمداً لأقوة من القرآن العظيم"<sup>36</sup>.

**2- نصح الحاكم و العدالة في فرص الولايات:** تحت تأثير هذا الحس الجاد الذي يحمل هموم الإسلام توجه الأستاذ النورسي إلى استانبول سنة 1896م لأجل طرح مشروعه على السلطان عبد الحميد ولكنه لم يوفق إلى ذلك ، ثم رجع إلى مدينة (وان) ، ولما تفاقمت الأمور رجع مرة أخرى سنة 1907م إلى استانبول.<sup>37</sup> وحمل مطالبه الإصلاحية وهي كالآتي :<sup>38</sup>

1. الاهتمام بالمنطقة الشرقية : لأن أهلها يعدون جزءاً مهماً من الأمة العثمانية ، وتحدث عن أهمية إيصال الخدمات إليهم.
2. إصلاح مناهج التعليم وطرق التدريس وإدخال العلوم الحديثة جنباً إلى جنب مع العلوم الإسلامية.
3. قدم نصيحة للخليفة فحوهاها أن دولة الخلافة مسؤولة عن كل المسلمين في العالم ، وأن دور الخليفة لا ينحصر في إقامة شعائر صلاة الجمعة.
4. الابتعاد عن نظام الاستبداد والاعتماد على التقارير السرية التي قد تسيئ إلى رجال الأمة والتي توجه دسائس معينة لمقاصد شخصية.

كانت هذه المطالب نفاثات مخلصه لأجل التنبيه والنصيحة للسلطان عبد الحميد إذ الذي وصفه النورسي بقوله: "كان السلطان عبد الحميد خليفة لستين مليوناً من المسلمين، وأنا أعده ولياً من أولياء الله".<sup>39</sup>

ومع ذلك فقد أوقف لمدة ثمانية أشهر لاشتباهم في أنه إما من تيار الاتحاد والترقي أو من بعض المتعصبين الأكراد ، ولكن التحقيق والتقارير أثبتت خطأ ذلك لذا اعتذر منه السلطان على لسان معاونيه وأمر بإجراء مرتبه بل وزاده فرد النورسي ذلك بأن النصيحة تكون من غير مقابل ، وأبلغ بأن مشروع الجامعة تحت الدرس.<sup>40</sup>

**3 - التعرف على المعارضة وظروحاها:** من جانب آخر حاول الأستاذ النورسي التعرف على القوى العاملة باسم الإصلاح والاقتراب منها واكتشاف أسرارها ، فسافر إلى سلانيك وأسهم مع الاتحاديين في الابتهاج بصدور (المشروطة الثانية) في عام 1908م ، وهي إعادة العمل بالدستور بعد توقف العمل به بسبب الحرب الروسية العثمانية وظروف الدولة ، وكان إعلان الدستور العثماني وصياغته على النمط الأوروبي وهو ما يعرف بالمشروطة الأولى قد تم في عام 1876 ، نتيجة مطالب الاتحاديين والجيش والسياسيين والأوساط الفكرية التي استجاب لها السلطان عبد الحميد الثاني أخيراً.

وقد خطب النورسي في هذه المناسبة أمام الجماهير المحتشدة مبيناً مفهوم الحرية الحقيقية بأنها الحرية التي يرسم الشرع حدودها ، وليست الحرية الفوضوية التي لا ضابط لها ، وأكد في خطابه على ضرورة اقتباس العلوم الحديثة دون الأخذ بالجوانب السلبية في الحياة الغربية.<sup>41</sup>

وقد لاحظ الأستاذ النورسي ظهور الدعوة إلى الإلحاد والعلمانية وتقيد الإسلام منهجا ونظاما لحياة الناس ، وذلك على صفحات الجرائد ومن خلال طباعة الكتب ، وكانت حركة الاتحاد والترقي هي التي تروج لذلك مما دفعه إلى اتخاذ موقف الرد المتواصل لتفنيد الدعوات الباطلة ، وكان يستهدف من خلال النصح والنقد والتذكير حفظ التوازن لأنه كان يريد أن يكون المجتمع ملتزماً بالمشروطة والشورى والحرية في الكتابة والخطابة ، مع التحذير من أهداف وتحركات جمعية الاتحاد والترقي.<sup>42</sup>

**4- الانضمام للاتحاد المحمدي:** تحت هذا الإسلام أنشأت جمعية لمواجهة ظاهرة العداة للإسلام وكان لها مجلة (وولقان) أي البركان يرأس الجمعية رجل قبرصي اسمه درويش وحدتي ، وكان الشيخ النورسي عضواً في الاتحاد المحمدي وينشر مقالاته في جريدة (وولقان).

كانت سياسة المجلة التحريرية تتوافق مع أفكار الأستاذ النورسي كالدعوة إلى الوحدة والبعد عن التفرقة وعدم إعطاء المبرر لبعض الحركات المنطرفة بإثارة القتال بين أبناء البلد الواحد.<sup>43</sup>

**5- إصدار رسائل النور:** لمواجهة الكم الهائل من الكتب والمقالات العلمانية والفكر المغالي في القومية و

التي كانت تسود بها الصحف والدوريات التي تهاجم الإسلام وتشكك المسلمين بدينهم ، قرر الأستاذ النورسي إصدار (رسائل النور) لتكون قسماً يقوى وشائج الأخوة وتثير القلوب بالكلمة الطيبة في مواجهة الفلسفة الملحدة والدفاع عن حياض الإسلام ، وللعمل على بناء الشخصية المسلمة ولذا كان لها صداها في أنحاء العالم الإسلامي وأوروبا وأمريكا ، تعميقاً للأخوة الإسلامية<sup>44</sup> ، بعد أن أفرز الفكر القومي مفاهيم لا إسلامية وعنصرية عند الأتراك والأكراد والعرب فالأتراك يرون مثلاً أن : "التعاون مع من ليس من قوميتهم ينافي القومية"<sup>45</sup> ويقول بعض الأكراد : "إني أفضل كردياً مجاهراً بل ملحداً على تركي صالح"<sup>46</sup>.

لذلك استوجبت هذه الظواهر والتقلبات في المعايير والمقاييس عند المسلمين إصدار رسائل النور التي كانت بالأساس تهدف إلى تعميق الأخوة ، و أصبحت في مراحلها المتقدمة بعد ذلك تعالج ما أفسدته الأفكار العلمانية في قطع أو اصر الأخوة الإسلامية بين القوميات في الدولة الإسلامية العثمانية ، ويقول النورسي رحمه الله : "ألا فليعلم أهل السياسة علماً قاطعاً رغم أنه لا علاقة لنا بهم أن العلاج الوحيد لإنقاذ الأمة في هذه البلاد وفي هذا العصر من الفوضى والإرهاب ومن الترددي المريع والتدني الرهيب هو أسس رسائل النور"<sup>47</sup> ، مضيفاً : "إن رسائل النور هي البناء الأساسي للفرد وزاده الإيماني والفكري ، إن الذي تطلبه رسائل النور ثمناً لما تكسبه طلابها الصادقين الثابتين.. هو الوفاء والخالص الكامل والثبات الدائم الذي لا يتزعزع"<sup>48</sup>.

**6 - الرحلة والتواصل دعوة إلى التوحيد :** لم ينسى الإمام النورسي بأن نبض العالم الإسلامي المهم في وحدة العالم الإسلامي هم العرب الذي يكونون مع إخوانهم الترك والكرد والباشناق والشركس والشيشان والقازاق والهنود والملايو والهوسا والهنود لحمة الأمة المسلمة وأنهم يمثلوا قومية رئيسة في بناء الدولة العثمانية لذا فالحفاظ على أخوتهم مهم في بناء (الاتحاد المحمدي).

ولهذا خصص الأستاذ النورسي رحلة إلى الشام سنة (1911م) فاستقبله أهل الشام وعلى رأسهم العلماء وطلبوا منه أن يخطب في الجامع الأموي وباللغة العربية<sup>49</sup> ، فخطبهم بقوله : "فيا إخواني العرب الذين يستمعون إلى هذا الدرس في هذا الجامع الأموي إنني ما صعدت المنبر.. لأرشدكم فثأناً معكم شأن الصبيان مع الكبار فنحن تلامذة بالنسبة إليكم وأنتم أساتذة لنا وسائر أمة الإسلام"<sup>50</sup> ، ثم بين لهم التحديات التي تواجه الأمة المسلمة التي يجب أن لا تياس من الإصلاح وإعادة وحدة الأمة الإسلامية وذلك بالتعاون بين شعوب الأمة الإسلامية وبخاصة الترك والعرب فيقول : "وأملنا بالله عظيم أن يتخلى العرب عن اليأس ويمدوا يد العون والوفاق الصادق إلى الترك الذين هم جيش الإسلام الباسل فيرفعوا معاً راية القرآن عالية خفاقة في أرجاء العالم إن شاء الله"<sup>51</sup> ، ويفتح النورسي باب الأمل ثم يقول : "أيها الأخوة في الجامع الأموي : إن الإسلام وحده سيكون حاكماً قارات المستقبل حكماً حقيقياً ومعنوياً وأنه الذي سيقود البشرية إلى السعادتين الدنيوية والأخروية"<sup>52</sup>.

ثم يبينها الإمام النورسي إلى ضرورة أن تتواصل الجهات التي ترفع شعار العمل من أجل الإسلام على اختلاف مسمياتها وأماكنها في العالم الإسلامي ، أن تتواصل وتنسق عملها ، فليس لمن يرفع شعارات ومسميات إسلامية أن يعمل وحيدا لتحقيق هدف ومطلب الوحدة الإسلامية أو لتحقيق أي من الأهداف السامية خدمة للمسلمين في المجالات التعليمية والفكرية والاقتصادية والسياسية ، ولو كان ذلك في شكل تنسيق وتظافر الجهود ، وفي ظل هذا المعنى ومع أن الإمام النورسي لم ينضم إلى حركة الإخوان المسلمين التي نشأت في مصر في بدايات القرن العشرين إلا أنه أرسل قائلا عند تأسيسها من منطلق الشعور بالوحدة الإسلامية : "إننا نهنيئ الإخوان المسلمون من صميم قلوبنا وأرواحنا ونقول لهم : بارك الله فيكم ألف مرة ، إن طلائع النور الذين هم بمثابة خلف الاتحاد المحمدي السابق يمثلون الاتحاد الإسلامي في الأناضول ، أما في البلاد العربية فالإخوان المسلمون هم الذين يمثلون الاتحاد الإسلامي وإن طلاب النور والإخوان المسلمون من بين صفوف عديدة يشكلان صفتين مترافقتين ومتوافقين ضمن حزب القرآن وضمن دائرة الاتحاد الإسلامي المقدسة وقد سعدنا باهتمامهم الجدي برسائل النور وبِعزمهم على ترجمة بعضها إلى اللغة العربية ونحن نحمل لهم شعور العرفان بالجميل ، وأرجو منهم أن يقوموا برعاية طلاب النور ورسائل النور هناك".<sup>53</sup>

بهذه الأخوة الصادقة تلتقي قلوب الداعين إلى الوحدة الإسلامية في ذلك الخضم الذي يحيط بالإسلام والمسلمين وبهذا الإخلاص والتجرد من أي نفس تعصبي تلتقي القلوب التي استمدت من القرآن والسنة الرؤية الثاقبة للأحداث والمنهجية المكافئة المؤهلة لمواجهة التحدي.

### فوائد وأخلاقيات : مفاتيح للتوحد :

وضع الأستاذ النورسي قواعد وضوابط وأخلاق هي بمثابة المفاتيح لإعادة الأمة إلى ثوابتها ومنهج حياتها الذي فيه عزنا ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ (آل عمران : 103) ، ومن هذه القواعد:

**أولاً : العمل الجماعي المؤسسي بدلا من هدر الجهود الفردية :** هو الذي يستمر ويثمر ، وأن الشخصية الميالة إلى النفسية الجماعية أكثر إيجابية وصموداً من الشخصية الفردية وأكثر أماناً من الوقوع في الفتن ، يقول الأستاذ النورسي : "إن هذا الزمان زمان الجماعة وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية ، فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير ، فلأجل الحصول على حوض ماء عظيم ، ينبغي للفرد إلقاء شخصيته وأنانيته التي هي كقطع الثلج في ذلك الحوض

وإذابتها وإلا ستذوب حتماً تلك القطعة من الثلج ، وتذهب هباءً وتفوت الفرصة من الاستفادة من ذلك الحوض أيضاً".<sup>54</sup>

بهذا الوصف الجميل يصف الأستاذ النورسي الداعية المنفرد أو المصلح الاجتماعي المنعزل عن الآخرين من أمثاله بأنه كقطعة ثلج ومآل هذه القطعة الذوبان وبالتالي لن ينتفع بها طويلاً ، بدلاً من أن تكون شربة ماء لعطشى تنقذهم من الموت أو حيواناً أو طائراً وفي كل كبد حرّى لأجر ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون﴾<sup>55</sup>.

ولكن لو تجمعت قطع الثلج لكونت حوضاً أو نهراً جارياً وكذلك هو حال جهد الأفراد المنصب في عمل جماعي مؤسسي طويل الأمد خصوصاً إذا صاحبه إخلاص وتجرد فيبارك الله فيه ، ويستمر الأستاذ فيقول: "إنه لمن العجب وموضع الأسف أنه بينما يضع أهل الحق والحقيقة القوة العظمى في الاتفاق بالاختلاف فيما بينهم...!! يتفق أهل النفاق والضلالة للحصول على القوة المهمة فيه = رغم مخالفته لمشربهم = فيغلبون تسعين بالمائة من أصل الحقيقة مع أنهم لا يتجاوزون العشر بالمائة"<sup>56</sup> ، وهذا ما نشهده اليوم في العالم الإسلامي ، وذلك عندما تبرز قضية مثيرة للجدل ، فلا تتوحد الأغلبية الممثلة لصوت الشارع الصامت بينما تملأ الآفاق الإعلامية أصوات هي في الحقيقة لا تمثل إلا أقلية لكنها تركز جهودها وتنظمها ، فيجتمع الحشد الإعلامي والفكري ، والعمل السياسي البرلماني والشعبي ، وتحركات الجامعات والطلبة ، فيظن الكثيرون أن هذا ما تريده الغالبية من سكان دولة ما في شأن قضية ما.

فهل نعي مثال الثلج والنهر الواقعي وكيف نظر إليه الأستاذ النورسي بعين الحقيقة والفهم الدقيق التابع من الإيمان العميق في أهمية العمل المتواصل الذي هو محصلة عمل أهل الخير؟.

**ثانياً : الإيمان العميق؛** إن الإيمان بقضية ما والإخلاص لها يدفع الفرد إلى العمل الشاق رجاء قبول الله تعالى ذلك العمل ، يقول النورسي يرحمه الله : "وينبغي أن تكون الحقائق الإيمانية أول مقصد وأسبق في هذا الزمان وتبقى سائر الأمور في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة وفي الوقت الذي ينبغي أن تكون خدمة الحقائق الإيمانية برسائل النور أجل وظيفة وموضع اهتمام ولهفة ، ومقصورة بالذات".<sup>57</sup>

ويضيف : "وأن البناء الإيماني مهم في النجاة من الفتور في الدعوة إلى الله لذا "فينبغي لهم ألا يورثوا الفتور في وظيفتهم المقدسة بمشاهدة لعب الشطرنج للطاغين ولا يفكروا صفو أذهانهم وأفكارهم بالنظر إلى لعبهم.. فالأذواق المعنوية والأوتار الإيمانية □ في القلب - التي هي ضمن دائرتنا كافتان ووافيتان لنا"<sup>58</sup>.

**ثالثاً : أدب الحوار البناء:** كان الإمام النورسي رجل حوار ، وقد تعلم منه طلابه في تيار النورسيين في تركيا إلى يومنا هذا منهجاً للتعامل مع الأفراد والدول والمؤسسات أو الحضارات والأديان وله منطلقات أشار إليها في رسائله ، وتعد مهمة في تحقيق الكثير من أهداف المصلحين في عالمنا العربي والإسلامي ، وهي :

**أ. تعدد أوجه الحق وعدم إقصاء الآخرين :** وللإمام النورسي كلاماً بليغاً بهذا الشأن يقول فيه :<sup>59</sup> "إن الحق والصواب غير قاصر على فئة دون فئة ، عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول إما مسلكي حق وأو هو أفضل ولا يجوز أن تقول إن الحق هو مسلكي أنا فحسب".

**ب. عدم الوصاية على الآخرين:** فكل من لديه قابلية للاجتهاد وحائز على شروطه له أن يجتهد لنفسه في غير ما ورد فيه النص من دون أن يلزم الآخرين به.

**ج. التزام الصدق في الحوار :** فحبة واحدة من صدق تبيد بيدراً من الأكاذيب ، وإن حقيقة واحدة تهدم صرحاً في الخيال.

**د. توسيع دائرة الحوار توسيع للدعوة الإسلامية :** فالحوار يفتح لنا أبواباً أخرى على الثقافات والديانات "وأن أشد القبائل تأخراً يدركون الخطر الداهم عليهم فتراهم ينبذون الخلافات الداخلية وينسون العداوات الجانبية عند إغارة العدو الخارجي عليهم ، وكذلك يمكن الحوار مع أهل الأديان السماوية في القضايا المشتركة التي تدمها أصول أديانهم وكتبهم مثل قضية الجندر وإلغاء الأسرة ، والزواج التمثالي وغيرها ، فهذه قضايا تحتاج إلى توحيد الجهود لردّها لأنها تمسخ الفطرة الإنسانية وتشيع الفوضى الجنسية والتي تتبعها فوضى في الاجتماع والاقتصاد.

فالتدينون الحقيقيون من النصارى سيقفون معنا كذلك في المطالبة بحقوق الإنسان "فيتركوا مؤقتاً كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعاً لعدوهم المشترك الملحد المتعدي" ، هكذا كان رأيه.

ومن النماذج التطبيقية للحوار الذي مارسه النورسي إرساله مجموعة من رسائل النور إلى البابا بيوس الثاني عشر في روما سنة (1950م) ، وقد تسلم جواباً منه في 1951/2/22م مع رسالة شكر شخصية ، وأعلنت بعدها الكنيسة الكاثوليكية في مجلسها الكنسي الثاني بالفاتيكان عن احترامها وتقديرها للمسلمين وأكدت بأن الإسلام طريق أصيل وحقيق للخلاص والنجاة ، وفي سنة 1952 قام الأستاذ النورسي بزيارة لبطربارك الأرثوذكس (آثونا كروس) في استانبول للبحث عن طريق للتعاون بين المسلمين والنصارى لمواجهة الإلحاد والظلم.<sup>60</sup>

ولا زالت بركة الأستاذ ومنهجيته العملية في التواصل مع الآخرين ، فقد تشكلت مدرسة من طلابه تؤمن بأن الحوار هو الطريق الذي يحل كثير من المشاكل ويكشف عن الحقائق للوصول إلى تعايش ينطلق من

المسلمات والقواعد القرآنية: ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾<sup>61</sup>.

وسار طلابه على نفس المنهج فقد استجاب لدعوة البابا بولس السادس في 1998/2/9 للتباحث في الشؤون والقضايا التي تواجه الأديان في العصر الحاضر.<sup>62</sup>

وهكذا يستمر العمل الدعوي بتواصل أجياله كإبراً عن كابر لخدمة القرآن وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في كل زمان الذي قال : "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"<sup>63</sup>.

## الخاتمة

في مسك الختام فإن البحث قد تناول قضية مهمة في أيامنا هذه تحتاج إلى وعي بالأفكار ، والمتغيرات التي لا تحيد بنا عن الثوابت في سبيل إيصال رسالة الإسلام إلى الآخرين وهذا يتطلب منا الانضباط بمصدريتنا الشرعية [الكتاب والسنة] ، نقف عند ثوابتها ولا يمنعنا أن نأخذ عن غيرها ما فيه فائدة لدينا في وسائل وعلوم ، لتحسين واقعنا وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح يكون نابعاً من بيئتنا ومرجعيتنا الشرعية ، وتكون أمنيته قوة لها دورها في الأحداث لأن تحدث لها الأحداث ، فلا زالت أمتنا معطاءة وغنية بالرجال وإنما تفرق الكلمة ، وضيق الصدور بين الأطراف الداعية للإصلاح إن كانت دولا أو جماعات من أبرز أسباب ضعفنا ، فلعلنا بفقهِ الواقع وتجرد النفوس نسمو معا ، وهذا يحتاج إلى صدق و عمل دقيق متواصل ، ولعل البحث قد أكد في مجمله على عدد من النقاط المهمة :

1. إن للأستاذ النورسي منهجية واقعية عاناها في عملية الدعوة إلى حفظ الأصالة ومواكبة المستجدات التي تحقق مصالح الأمة ورسم لنا منهجاً للتوحد بقواعده وضوابطه على حسب الأحداث التي عاصرها وعاناها.

2. أهمية احتفاظ الأمة بشخصيتها النابعة من مرجعية لها ثوابتها والتي تقف عندها لا تتعدها ، وأن تسجيب للمتغيرات وتستعين بها بشكل لا يتعارض مع الثوابت الفكرية والعقدية

3. أهمية الحوار في عملية توحيد الأمة في مواقفها مع الالتزام بقواعد وآداب توصلنا إلى الأهداف وتبعدنا عن التناحر والتنافر أفرادا كفا أو جماعات أو مؤسسات أو دولا.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



## الهوامش :

- 1 سورة المؤمنون ، الآية :52.
- 2 ولد السلطان عبد الحميد سنة 1842 م من أب موال للغرب والمشجع على عملية التغريب وهو السلطان عبد المجيد وخلف عمه مراد الذي كان ماسونياً وولي عبد الحميد الخلافة سنة 1876 م ؛ انظر: أورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد ، دار الوثائق ، الكويت (1407 هـ - 1986 م) ، الطبعة الأولى ، ص 8.
- 3 الأستاذ الإمام بدیع الزمان النورسي رحمه الله ولد سنة 1877 م . 1294 هـ في قرية نورس ؛ أورخان محمد علي ، سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة ، استانبول ، تركيا : 1416 هـ - 1995 م ، شركة النسل ، الطبعة الأولى.
- 4 شكيب أرسلان وتعليقاته على Lothrop Stoddird ، نقله للعربية عجاج نويهض ، (1391 هـ - 1971 م) ، بيروت : دار الفكر ، 281/3.
- 5 الموسوعة الثقافية ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ونويورك (1392 هـ - 1972 م) ، إشراف الدكتور حسين سعيد ، الطبعة الأولى ، 776 ؛ وانظر: عبد المجيد الصافوري ، سقوط الدولة العثمانية وأثره على الدعوة الإسلامية ، بيروت : دار الصحوة (1410 هـ - 1990 م) ، الطبعة الأولى ، 211.210 و214.
- 6 علي الدين هلال وآخرون ، معجم المصطلحات السياسية ، جامعة القاهرة (1414 هـ - 1994 م) ، الطبعة الأولى ، مركز البحوث والدراسات السياسية : 32.
- 7 انظر : شكيب أرسلان ، مصدر سابق ، 215 ، 217.
- 8 مجدي الصافوري ، المصدر السابق ، نفسه.
- 9 انظر : شكيب أرسلان ، مصدر سابق ، 189/1 ؛ وانظر : د. جميل المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، الأردن (1409 هـ - 1989 م) ، نشر دار التقوى ، دط ، 121 .
- 10 الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (1409 هـ - 1989 م) الرياض ، الطبعة الثانية ، 401 ؛ الموسوعة الثقافية ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر (1392 هـ - 1972 م) القاهرة ؛ إشراف الدكتور حسين سعيد ، 776 ؛ وانظر : وميض جمال عمر نظمي ، ثورة الغرب ، مركز دراسات الوحدة العربية (1495 هـ - 1985 م) ، بغداد ، الطبعة الثانية ، 75 .
- 11 انظر : أحمد الشوايكة ، حركة الجامعة الإسلامية (1404 هـ - 1984 م) ، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 110.108 ؛ وانظر : مجدي الصافوري ، مرجع سابق ، 121 ؛ وانظر : لث سعود ، الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات (1425 هـ - 2004 م) شركة سوزلر للنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 29.
- 12 انظر : أحمد الشوايكة ، المصدر السابق ، 109.
- 13 انظر : نزيه كباره ، عبد الرحمن الكواكبي (1410 هـ - 1995 م) ، مطبعة جروس بروس ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 25 .
- 14 انظر : 59 p. (1417H – 1997) Hamidiya Alaylari, Izmir Dogu Pulitikasi ve Abdul Hemidin, Cevdet Ergul, 166. – وانظر : د. عثمان علي ، مجلة آلاي إسلام ، العدد 16 ، نقلاً عن Co: Kamran Badrkan ورامزور ، تركيا الفتاة ، مرجع سابق ، 91 . وانظر : إيمان محمد عباس ، الصراع الفكري في عصر السلطان عبد الحميد الثاني ودور القوميات والأقليات (دراسة تاريخية فكرية) رسالة دكتوراه في جامعة الملايو ، ماليزيا سنة (1421 هـ - 2001 م) ، تحت الطبع.
- 15 انظر : جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة الدكتور ناصر الدين الأسد ود. إحسان عباس ، بيروت ونويورك (1382 هـ - 1962 م) نشر مؤسسة فرانكلين ، دط ، 183.182.
- 16 انظر : د. عثمان علي ، الأسس الفكرية للحركة القومية الكردية ، مجلة آلاي إسلام ، ماليزيا ، العدد 1 ، 2 ، 3 نقلاً عن : C.J. Edmond, The Kurdish Problem في Kurdish, London .
- 17 انظر نفس المصدر نقلاً عن : Kamran Badhdhan, The Kurdish Problem .
- 18 المصدر السابق.
- 19 انظر : آرنت رامزور ، تركيا الفتاة وثورة 1908 م ، ترجمة د. أحمد صالح العلي ، بيروت (1370 هـ - 1960 م) نشر دار مكتبة الحياة ، 124.123 .
- 20 لث سعود ، الإمام النورسي والتعامل الدعوي مع القوميات ، القاهرة : 1426 هـ - 2004 م ، شركة سوزلر للنشر ، ص 11 .
- 21 انظر : نديم هزاز ، المدارس التنصيرية ، استانبول (1415 هـ - 1994 م) ، نشر مركز البلقان للدراسات والأبحاث ، 1226 ؛ وانظر : جورج انطونيوس ، مصدر سابق ، 99.97 ؛ وانظر : شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، مصدر سابق ، 212.211/3 .
- 22 انظر : M. Shukran Hani Oglu, Osmnli, Itehad: p 16 – 26, Veturkki Gamiyeti Ve Jon Turkluk, Iletisin Yahin Lari, Istanbul. 1889-1902, p1985. وانظر : محمد قربان نياز ملا ، السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية ، مكة المكرمة (148 هـ - 1988 م) ، نشر وتوزيع مكتبة المنارة ، الطبعة الأولى ، 68.59 .
- 23 وامزور ، تركيا الفتاة ، 64.63 ، 176 ؛ وانظر : أورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد ، دار الوثائق ، الكويت (1407 هـ - 1986 م) ، 270 ، 275 .
- 24 جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، مصدر سابق ، 149 ، 152 ، 172 ، 177 ، 190.183 .
- 25 السلطان عبد الحميد ، المذكرات ، تقديم وترجمة د. محمد حرب عبد الحميد ، دمشق (1412 هـ - 1991 م) ، نشر دار القلم ، الطبعة الثالثة ، 128 ، 223 ؛ انظر : رامزور : مصدر سابق ، 46 ، 167 .

- 26 انظر: د. أحمد التعيبي، اليهود في الدولة العثمانية، بيروت (1418هـ - 1988م)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 163.162؛ وانظر: شكيب أرسلان، مصدر سابق، 119.108.
- 27 انظر: عثمان علي، آلي إسلام، عدد 16، نقلًا عن: Kamranbadr Khan, The Kurdish Problem.
- 28 نزيه كيار، عبد الرحمن الكواكبي، طرابلس، لبنان (1415هـ - 1994م)، مطبعة جروس بروس، الطبعة الأولى، 25.24. وانظر: إيمان محمد عباس، الصراع الفكري في عصر السلطان عبد الحميد الثاني ودور القوميات والأقليات (دراسة تاريخية فكرية) رسالة دكتوراه في جامعة الملايو، ماليزيا سنة (1421هـ - 2001م)، تحت الطبع.
- 29 النورسي، المكتوبات، 415.414.
- 30 المصدر نفسه، 414.
- 31 المصدر نفسه، 415.414.
- 32 الملاحق، أمير داغ، 415.
- 33 انظر: أورخان محمد علي، سعيد النورسي، رجل القدر، 26.
- 34 انظر: المصدر نفسه، 26.25.
- 35 النورسي صقل الإسلام، الخطبة الثامنة، 492؛ المصدر نفسه، 495.
- 36 انظر: إحسان قاسم الصالحي، حالة وحدة المسلمين الراهنة وجهود النورسي العملية في إقامتها، مجموعة أبحاث، مؤتمر وحدة الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين: فرص وتحديات، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا (1414هـ - أكتوبر 2003م)، 313/2.
- 37 انظر: أورخان محمد علي، رجل القدر، 27.
- 38 المصدر نفسه، 30.29.
- 39 المصدر نفسه نقلًا عن: Son Sahitler.
- 40 المصدر نفسه نقلًا عن: Bilinmeyen Tarafliyle Bedirzaman Said Nursi, 89.
- 41 أورخان محمد علي، رجل القدر، 37.
- 42 المصدر نفسه، 41.39.
- 43 المصدر نفسه، 44 نقلًا عن: Bilinmeyen Tarafliyle Bedirzaman Said Nursi, 204-205.
- 44 الملاحق، ملحق أمير داغ، 2:416.
- 45 د. حسين جليلك، بديع الزمان وفكرة الاتحاد الإسلامي، مجموعة بحوث المؤتمر العالمي الأول لبديع الزمان سعيد النورسي (1416هـ - 1996م)، استانبول: ط 1، 544.
- 46 الملاحق، ملحق أمير داغ، 2: 418.
- 47 المصدر نفسه، 159.158.
- 48 الملاحق: ملحق قسطنطين، 152.150.
- 49 أورخان محمد علي، رجل القدر، 51.50.
- 50 بديع الزمان النورسي، الخطبة الشامية، ترجمة وتحقيق: إحسان الصالحي، مكتبة سوزلز، استانبول (1409هـ - 1989م)، 32.
- 51 المصدر نفسه: 40.
- 52 المصدر نفسه: 45.
- 53 النورسي، الملاحق: ملحق أمير داغ، 2: 338.337.
- 54 النورسي، الملاحق: ملحق قسطنطين: 163.
- 55 سورة الأنبياء، الآية: 30.
- 56 النورسي، الملاحق: ملحق قسطنطين: 163.
- 57 النورسي، ملحق قسطنطين، 149.
- 58 المصدر نفسه: 150.149.
- 59 إحسان قاسم الصالحي، مصدر سابق، بتصرف، 319.317.
- 60 انظر: إحسان قاسم الصالحي، المصدر السابق، 320؛ وانظر: الملاحق، ملحق أمير داغ، 346.
- 61 سورة آل عمران، الآية: 64.
- 62 إحسان الصالحي، المصدر نفسه: 321.
- 63 أخرجه البخاري: 3640 و3641، ومسلم: 1920، انظر زكي الدين المنذري، مختصر صحيح مسلم، المكتبة العصرية، بيروت، 2006: ص 310.